

تفسير ابن كثير

يقول تعالى لادم وحواء وإبليس : اهبطوا منها جمیعاً أی من الجنۃ کلکم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة { بعضکم لبعض عدو } قال : آدم وذریته وإبليس وذریته وقوله : { إما يأتینکم منی هدی } قال أبو العالیة : الأنبياء والرسل والبيان { فمن اتبع هدای فلا يضل ولا يشقی } قال ابن عباس : لا يضل في الدنيا ولا يشقی في الآخرة { ومن أعرض عن ذکری } أی خالف أمری وما أنزلته على رسولی أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه { فإن له معيشة ضنکا } أی ضنکا في الدنيا فلا طمأنینة له ولا انشرح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقین والهدی فهو في قلق وحیرة وشك فلا يزال في ريبة يتربّد فهذا من ضنک المعيشة .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { فإن له معيشة ضنکا } قال : الشقاء وقال العوفی عن ابن عباس : { فإن له معيشة ضنکا } قال : كلما أعطیته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقینی فيه فلا خیر فيه وهو الضنك في المعيشة وقال أيضا : إن قوما ضلاّلاً أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متکبرین فكانت معيشتهم ضنکا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم الله والتکذیب فإذا كان العبد يکذب الله ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك وقال الصحاک : هو العمل السيء والرزق الخبیث وكذا قال عکرمة ومالک بن دینار .

وقال سفیان بن عبینة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعید في قوله : { معيشة ضنکا } قال : يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه وقال أبو حاتم الرازی : النعمان بن أبي عیاش يكنی أبا سلمة وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنساناً الولید أنساناً عبد الله بن لهیعة عن دراج عن أبي الهیثم عن أبي سعید قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله { فإن له معيشة ضنکا } قال : ضمة القبر له والموقوف أصح وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهیعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجیرة واسمہ عبد الرحمن عن أبي هریرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية { فإن له معيشة ضنکا } أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا : الله رسوله أعلم قال : عذاب الكافر في قبره والذي نفسی بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حیة لكل حیة سبعة رؤوس ينفحون في جسمه ويساعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون] رفعه منکر جداً .

وقال البزار : حدثنا محمد بن يحيى الأزدي : حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : { فإن له معيشة ضنكا } قال [المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى إنه يسلط عليه تسعه وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة] وقال أيضا : حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم { فإن له معيشة ضنكا } قال : [عذاب القبر] إسناد جيد .

وقوله : { ونحشره يوم القيمة أعمى } قال مجاهد وأبو صالح والسدي : لا حجة له وقال عكرمة : عمي عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى : { ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم ولهذا يقول : { رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا } أي في الدنيا { قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى } أي لما أعرضت عن آيات الله تعالى معاكرة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناستها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاكرة من ينساك { فالليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا } فإن الجزاء من جنس العمل فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عبادة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ما من رجل قرأ القرآن فنسقه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجذم] ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء